

أَرْضُ المِيعَادِ

نظرة قرآنية في العهود التوراتية

د/محمد أبو زيد أبو زيد*

ملخص:

يطلب اليهود بفلسطين وطناً قومياً لهم معتمدين في ذلك على عهودهم التوراتية التي ظهرت على ألسنة سياسيين اليهود الصهاينة، ولما وجدت شبهة لمثل هذا الكلام في القرآن الكريم، عقدت هذه الدراسة المقارنة لدرء تلك الشبهات من جهة، ولتسليط الضوء على حقيقة تلك العهود التوراتية.

نجد في هذه الدراسة النصوص التوراتية والعهود المزعومة بتمليك اليهود بلاد الشام وغيرها. إلا أنني أخرجت ضوابط العهود من كلا المصدرين (القرآن والتوراة)، فلم أجد هذه العهود منطبقة أو مستحقة لمن يسمى (يهود) في أيامنا.

كما عرضت لحدود هذه الأرض المزعومة من خلال التوراة والقرآن فوجدت أن الواقع ضيق هذه البقعة أقل من الادعاءات بكثير. وعند النظر فيمن تصدق عليه عهود القرآن والتوراة تبين أنها لا تصدق على يهود اليوم لأنهم ليسوا من مسلمي بني إسرائيل بل من كفار الأمم المختلفة. وتبين أن المسلم هو المؤهل لوراثة العهود بالأرض المقدسة بعد وراثة الدين، وهذا ما حصل على أرض الواقع إذ سيطر المسلمون على بلاد الشام وغيرها. كما بينت بأن هذه التوراة لا تقوم بها حجة على عهد ولا على غير ذلك، لأنها محرفة وليست هي التوراة التي أنزلها الله سبحانه على موسى.

مقدمة:

إن العهود التوراتية الموجودة الآن في التوراة الموجودة بين أيدي اليهود تنص على أن هناك أرضاً أعطاه الله لبني إسرائيل أيام رسلهم. ويدعي اليهود اليوم أن هذه العهود تنطبق عليهم وأن هذه الأرض عطاء إلهي لهم يعتبر فوق القانون مهما كان نوع هذا القانون، وفوق إرادة الشعوب

* أستاذ جامعي، كلية الآداب - جامعة تعز - اليمن.

مهما كانت هذه الشعوب حتى لو كانت صاحبة الأرض التي يطالب بها اليهود!!!...

يقول بن غوريون رئيس الوزراء اليهودي الأسبق عام 1948م، بعد أن وقف ممثلاً لليهود في الأمم المتحدة: "وقد لا تكون فلسطين لنا عن طريق الحق السياسي أو القانوني، ولكنها حق لنا على أساس ديني فهي الأرض التي وعدنا الله وأعطانا إياها من الفرات إلى النيل، ولذلك وجب على كل يهودي أن يهاجر إلى فلسطين، وأن كل يهودي يبقى خارج إسرائيل بعد إنشائها، يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة، بل إن اليهودي يكفر يومياً بالدين اليهودي".(1).

والباحث في التوراة يجد "عهوداً لخمسة عشر نبياً بامتلاك فلسطين بل وأوسع منها وهو ما يسمونه بأرض الميعاد، وقد ابتدأت هذه العهود بإبراهيم عليه السلام قبل (4000) سنة تقريباً وانتهاءً بملاخي قبل (2400) سنة تقريباً، خلال أكثر من (1500) سنة"(2) ومن هذه العهود:

— عهد إبراهيم: "ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له.... فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم لأنني أجعلك أباً لجمهور من الأمم... وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً.... وأعطي لنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً... وأما إسماعيل.... أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً... ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده سارة في هذا الوقت في السنة الآتية... وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة"(3).

— عهد إسحاق: "وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر. اسكن في الأرض التي أقول لك... لأنني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقسمته لإبراهيم أبيك. وأكثر نسلك كنجوم السماء.... وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أن إبراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي، أوامري وفرائضي وشرائعي. فأقام إسحاق في جرار"(4).

— عهد يعقوب: يقول موسى لإسرائيل: "ومتى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي حلف لأبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيك... الرب إلهك تنقي وإياه تعبد وباسمه تحلف لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم... أعمل الصالح والحسن في عيني الرب لكي يكون لك خير وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التي حلف الرب لأبائك... وإن نسيت الرب إلهك وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها أشهد عليكم اليوم أنكم تبیدون لا محالة.... لأنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم"(5).

— عهد موسى: "وأما موسى فصعد إلى الله فناداه الرب من الجبل قائلاً هكذا تقول لبني يعقوب، وتخبر بني إسرائيل... فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة... لا تتطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً... أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك. لا تقتل. لا تزني. لا تسرق. لا تشهد على قريبك شهادة زور. لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيء مما

لقريبك" (6).

— العهد لداود وسليمان: قال الرب لسليمان: "وأنت إن سلكت أمامي كما سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامة وعملت حسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضي وأحكامي. فأني أقيم كرسي ملكك على إسرائيل إلى الأبد كما كلمت داود أباك... وإن كنتم تتقلبون وأبناؤكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي فرائضي التي جعلتها أمامكم بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى. وتسجدون لها فأني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها والبيت الذي قدسته لأسمي أنفيه من أمامي ويكون إسرائيل مثلاً وهزأة من جميع الشعوب. وهذا البيت يكون عبرة كل من يمر عليه يتعجب ويصغر ويقولون لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت" (7).

والآن بعد هذا السرد لعهودهم واهتمامهم بها أريد أن أناقشهم فيها من خلال ما وجدته في هذه العهود من ضوابط وقبود وهي:

1. العهد لإبراهيم (عليه السلام)، وجعله الله من بعده في ذريته.

وموطن الاستشهاد في قوله: "وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك... وأعطي لك ولنسلك من بعدك... أرض كنعان". والواقع يشهد بأن الإله الذي وعد إبراهيم بهذا العهد لم يف بعهده لأن إبراهيم لم يملك شيئاً من أرض كنعان (وهي فلسطين) وكان فيها غريباً. وكما تذكر التوراة نفسها أن إبراهيم عندما ماتت زوجته سارة في فلسطين لم يكن يملك مكاناً في فلسطين ليدفنها فيه حتى استعطف بني حث هناك فباعوه قبراً لها (8).

وأما موقف الإسلام من هذا العهد فأقول بأن العهد لإبراهيم في امتلاك أرض كنعان يصطدم عقدياً مع الإسلام صداماً مباشراً؛ لأن خلف الوعد لا يليق أن يكون من صفات الإله الحق وفي القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (9)، ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مَخْلُوفَ عَهْدِهِ رُسُلُهُ﴾ (10).

ولهذا أرى أنه من تحريفات اليهود التي أضافوها إلى التوراة لتوافق هوى في نفوسهم وسياساتهم كما هو معلوم عن أخلاقهم وسلوكهم في تحريف كتاب الله التوراة.

وكل ما ذكره القرآن عن إبراهيم (عليه السلام) وعلاقته ببلاد الشام هو أنها كانت ملجأً له عندما نجاه الله من النمرود في العراق. قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (11).

والمقصود فيها بالإجماع بلاد الشام (12)، وليس لدينا دليل قطعي على تخصيص مكان معين في بلاد الشام. ومن المعلوم أن فلسطين من بلاد الشام.

بل نجد في القرآن نهياً لليهود والنصارى عن إقحام إبراهيم (عليه السلام) فيما يخصهم بغير دليل واضح لأن زمن إبراهيم (عليه السلام) كما هو معلوم سابق للتوراة بنحو أربعة قرون وزيادة والإنجيل نزل بعد التوراة بنحو عشرة قرون تقريباً.

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (13). وقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (14).

وكذلك الإنجيل يردّ على اليهود ادعاء القرب من إبراهيم والسير على نهجه، فنجد عيسى عندما قالوا له: "أبونا هو إبراهيم. قال لهم يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم. ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونني وأنا إنسان قد كلمكم الحق الذي سمعته من الله. هذا لم يعمله إبراهيم.... أنتم من أب هو إبليس" (15).

إلا أن الشيء الغريب في عهد إبراهيم أن الأصل أن يكون لإسماعيل من بعده بصفته الابن الأكبر لإبراهيم، بل كان وحيداً وقت هذا العهد وكان عمره 13 سنة ولم يكن إسحاق قد ولد بعد ولا نرى أي مسوغ لإقصاء إسماعيل (عليه السلام) غير أنه جدّ العرب وجد رسولهم محمد (ﷺ) وليس من بني إسرائيل (يعقوب). وهذه عنصرية واضحة من اليهود، والتوراة شاهدة عليها إذ المطلع عليها لا يرى مذمة خلقية في سلوك إسماعيل (عليه السلام). بينما يرى من أخلاق ودين غيره من رسل بني إسرائيل ما تشيب منه الولدان وسيأتي بعضه في آخر هذا البحث.

2 - من خلال مطالعتي للعهد المدعاة لم أجد عهداً يتعلّق باليهود بلفظ (يهود)، وإنما ببني إسرائيل. وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام وهذا أمر متفق عليه بين القرآن والتوراة؛ واليهود في أيامنا يطالبون بفلسطين باعتبارهم بني إسرائيل، ولذلك يسمون دولتهم (إسرائيل) وهذا ادعاء يحتاج إلى برهان.

يقول البروفيسور اليهودي إسرائيل شاحاك: "فبحسب القانون الإسرائيلي يعتبر الشخص (يهودياً) إذا كانت والدته أو جدته أو جدته لأمه أوجدته لجدته، يهودية في ديانتها، أو إذا اعتنق الشخص الديانة اليهودية بطريقة ترضي السلطات الإسرائيلية، ولكن شرط ألا يكون هذا الشخص قد تحول في وقت من الأوقات، عن اليهودية، واعتنق ديانة أخرى، ففي هذه الحالة تفلح إسرائيل عن اعتباره (يهودياً). ويمثل الشرط الأول من الشروط الثلاثة التعريف التلمودي لمن هو يهودي، وهو التعريف الذي تعتمد الأرثوذكسية اليهودية... وهذه الطريقة الصحيحة تستلزم بالنسبة إلى الإناث، معانيتهن من ثلاثة حاخامات وهن عاريات في (حمام التطهير) (16). واضح من كلام إسرائيل شاحاك عدم اشتراط القانون الإسرائيلي للاعتراف بشخصية يهودية أن تكون هذه الشخصية من بني إسرائيل، وبالتالي ليس كل متجنس بالجنسية اليهودية أو الجنسية الإسرائيلية - نسبة إلى دولتهم المزعومة - يكون إسرائيلياً بالضرورة.

وإن الناظر في اليهود اليوم لا يرى لهم سحنة واحدة ولا لغة واحدة فمنهن الأشقر ومنهن الأسود ومنهن الأبيض ومنهن مستدير الرأس ومنهن طويله وغير ذلك مما هو مهم في علم الأنساب.

والتاريخ يذكر لنا أن أمماً كثيرة اعتنقت اليهودية من غير بني إسرائيل مثل سكان اليمن زمن رئيسهم ذو نواس الذي أجبر الناس على اليهودية وشق الأخدود لمن خالفه، قال تعالى: ﴿قَتَلَ

بل لا يكاد ينجو من شرهم كل من ربطته بهم علاقة ما قريبة أو بعيدة؛ لذلك تراهم يخشون الناس ويخشاهم الناس، ومن ظهرت له صداقة لهم فإنما ذلك كما قال المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدواً له ما من صداقته بُد

ولو استقرينا التوراة والواقع لرأينا هذا من صفاتهم:

— أما التوراة:

ففيها شكوى مريرة من إدراك اليهود لنفسيتهم الشريرة التي جلبت لهم كره الشعوب، فقد جاء في سفر إرميا: "ويل لي يا أمي لأنك ولدتي إنسان خصام، وإنسان نزاع لكل الأرض. لم أقرض ولا أقرضوني وكل واحد يلعني" (22).

وبهذا المعنى وصفوا في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كَلِمًا أَوْ قَدْوًا نَرَاءَ لِنَحْرِيبِ أَطْفَالَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾. (23)

وأما لعنهم فقد قال تعالى: ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُكْرَفِ قُلُوبِهِمْ لِبَيْسٍ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (24). وواضح من هذا أن اليهود شر لكل الأرض وليسوا بركة، وفي نفس السفر يقول الرب: "لأن شعبي أحق. إياي لم يعرفوا هم بنون جاهلون وهم غير فاهمين. هم حكماء في عمل الشر ولعمل الصالح ما يفهمون" (25).

— وأما من خلال الواقع:

فلعنة الشعوب لليهود يعرفها العالم أجمع كما يعرفها اليهود جيداً وما أكثر ما ذكرت هذا أكثر المؤلفات عن تاريخ اليهود حيث أنهم ما استقروا في بلد حيناً من الزمن إلا وبدؤوا بامتصاص دم الشعوب والسيطرة على اقتصادها ونشروا الإبادة والفجور والفساد الخلفي بكل أنواعه بين الناس حتى لا يلبث ذلك الشعب وتلك الحكومة أن تضيق ذرعاً باليهود فتتهب ممتلكاتهم وتبطش بهم قتلاً ونفياً وتشريداً وهذا ما جرى لهم زمن بختنصر عام (586 ق.م)، وفي تدمير الرومان لهم عام 63 و 70 ق.م و 135م. وزمن الرسول (ﷺ) في بني النضير وقينقاع وقريظة وخيبر.

وفي فرنسا زمن لويس التاسع عام 1341م وفي المجر 1360م و 1582م وفي بلجيكا 1370م وتشيكوسلوفاكيا 1340م و 1744م، وعند الإنجليز زمن الملك إدوارد الأول، وفي النمسا 1420م، وفي هولندا عام 1444م، وكذلك في إسبانيا وإيطاليا وروسيا وألمانيا، آخرها على يد هتلر من عام 1933م وحتى 1945م (26)، فقد أجمعت الشعوب على كرههم مما أورثهم عقدة نفسية من بني البشر وصار حالهم كحال زعيمهم السامري صانع العجل عندما غضب الله عليه فعاقبه بأن سلامته تكون في أن لا يمس أحداً ولا يمس أحد. قال تعالى على لسان موسى معاقباً للسامري: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تَخْلَفَهُ...﴾ (27).

وقد يذهل الإنسان من كثرة ما بسط القس ليديهم إلى اليهود بالسوء إلا أن المسلم القارئ للقرآن

يرى في هذا تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (28).

إذا فهذا العهد كذلك لا يستقيم لليهود لما أوضحت من الخلل فيه، وعلى كل حال، لم يمتلك إسحاق شيئاً من البلدان في بلاد الشام وهذا يتناقض مع عهود التوراة ويتفق مع القرآن لأن القرآن لم يذكر أي عهد لإسحاق (عليه السلام).

5 - شرطت العهود على بني إسرائيل لأجل تمكينهم في الأرض أن يكونوا صالحين مع الله والناس.

وقد مضى عند ذكرى للعهد أن الرب قال لإسحاق إنه عاهد إبراهيم على إعطائه الأرض: "من أجل أن إبراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي أوامري، وفرائضي وشرائعي".

وواضح من هذا أن العلة في إعطاء الأرض كانت صلاحه مع الله، وكذلك فيما ذكرت من عهد يعقوب، قول موسى: "الرب إلهك تتقي وإياه تعبد وباسمه تحلف لا تسيروا وراء آلهة الأمم حولكم... اعمل الصالح والحسن في عيني الرب لكي يكون لك خير وتمتلك الأرض الجيدة التي حلف الرب لأبائك... وإن نسيت الرب إلهك وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها أشهد عليكم اليوم أنكم تبعدون لا محالة... لأنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم".

واضح كذلك هنا أن امتلاك الأرض مرتبط بصلاحهم وإلا فالدمار والهلاك لمن عصى.

وكذلك في عهد موسى: "فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب... فإن لي الأرض... لا تتطرق باسم الرب إلهك باطلاً... أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك. لا تقتل. لا تزنى...". وهذا دلالة أوضح بكثير حيث علق إقامتهم بالأرض المقدسة طالما هم يعبدون الله ويحسنون إلى خلقه.

وكذلك في عهد داود وسليمان مضى قول الرب: "إن سلكت أمامي... بسلامة قلب واستقامة... وحفظت فرائضي وأحكامي فأني أقيم كرسي ملكك على إسرائيل إلى الأبد... وإن كنتم تتقلبون أنتم وأبنائكم من ورائي... فأني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها...". وهذا واضح كذلك بأن التمكين في الأرض مشروط بالصلاح مع الله، ومع عباده وأن كلمة إلى الأبد الموجودة في العهد ليس المقصود بها أن الأرض لهم وإن عصوا وفسقوا وإنما المقصود بها طالما كانوا صالحين ومن جهة أخرى فإن السموأل بن يحيى من أحبارهم الذين أسلموا لفت النظر إلى خطأ الترجمة، والكلمة في العبرية (عولم) وترجمته العربية ليس إلى الأبد وإنما حين من الدهر (29). وعلى كل حال فهذا النص من التوراة ونصوص كثيرة (30) واضحة في اشتراط التقوى والصلاح لتمليك الأرض.

وطالب الصلاح مع الله والناس موافق للقرآن في خطاب الله سبحانه لبني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا

مِثْلَاقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣١﴾

والمقصود بالناس هنا كل الناس كما هو في قول علي (عليه السلام) وأبي جعفر وعطاء بن أبي رباح (32). وأما الحسن الذين أمروا بقوله: "فمن ابن عباس أنه الأمر بلا إله إلا الله لمن لم يقلها". وعن الحسن: "لئن القول من الأدب الحسن الجميل والخلق الكريم". وعن ابن جريج: "قولوا للناس صدقاً في أمر محمد (ﷺ) ولا تغيروا نعته" (33). والظاهر ما قاله الشوكاني: إن هذا القول الذي أمرهم به لا يختص بنوع معين، بل كل ما يصدق عليه أنه حسن شرعاً كان من جملة ما يصدق عليه هذا الأمر. (34).

وإن ربط التمكين في الأرض بصلاح الناس الممكن لهم مع الله والناس سنة شرعية لأن الشرائع جاءت لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل والتمكين للأشرار مخالف للهدف من الرسائل والشرائع وهذه المعاني أطبقت عليها كل الشرائع السماوية والأرضية وكل العقول.

وقد نصت التوراة على هذه السنة بعبارة أخرى أخصر مما ذكرت سابقاً وهي: "فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبون وصاياه إلى ألف جيل والمجازي الذين يبغضونه بوجوههم ليهلكهم" (35). فالعلاقة تبادلية يحفظون عهده فيحفظ عهدهم. ونفس المعنى قاله الله لهم في القرآن كذلك: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُوا﴾ (36).

كما نجد التوراة تقطع أطماع اليهود بتملك الأرض بمجرد النسب والانتماء، ففي مزامير داود نجد قوله: "الصدّيقون يرثون الأرض" (37)، وهذه من أوضح العبارات. بل قال تعالى في القرآن إنه أنزل هذا المعنى على داود فقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (38). ومعلوم أن الزبور كتاب داود عليه السلام فقد قال تعالى: ﴿وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (39). وفي هذه إشارة إلى أن عبارة المزامير المنسوبة إلى داود من بقايا كتاب داود (عليه السلام) والله أعلم.

وبالنسبة للقرآن فالتمكين للصالحين أمر مفروغ منه وآياته كثيرة كالأية السابقة، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (40).

وبقي أن نقول بأنه يفهم من هذه النصوص أن الصالحين وإن ورثوا الأرض فهذا لا يكون إلى الأبد بل يبقون فيها ما داموا على الشرط الذين دخلوها به وهو الصلاح، فإن ذهب الصلاح ذهب الأرض، وبمعنى آخر أن الله يبثلي عباده قبل التمكين في الأرض وبعد التمكين في الأرض.

وهذا المعنى الموجود في توراتهم موجود أيضاً في القرآن وموجه كذلك لبني إسرائيل على لسان موسى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

والعاقبة للمتقين ﴿٤١﴾ قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴿٤٢﴾. في قوله: ﴿العاقبة للمتقين﴾. فيه التمكين للصالحين بعد ابتلائهم بمرحلة الضعف. وفي قوله: ﴿ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾. فيه ابتلاؤهم بعد التمكين بالنظر إلى أعمالهم، وفي هذا تحذير واضح من أن يفقدوا بمعاصيهم مانالوهم بطاعتهم.

عهودهم من خلال القرآن:

القرآن لا ينظر للإنسان من حيث جنسه وقوميته وإنما ينظر له من خلال عقيدته. قال تعالى: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (42).

ولهؤلاء الأتقياء يكون التمكين في الأرض لأن في التمكين لهم يسود العدل والدين معاً ويأمن الناس على دينهم وديناهم. قال تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ (43). ولا مانع لدينا أن يكون الصالحون من بني إسرائيل أيام كانوا مسلمين مفضلين على العالمين، كما لا مانع لدينا أن يدوم التمكين لهم في الأرض ماداموا مسلمين آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر حافظين لحدود الله وعادلين بين عباده.

إلا أن يهود اليوم ليسوا كذلك، والقرآن لا يراهم مستحقين لشيء غير غضبه ولعنته في الدنيا والآخرة؛ وذلك لأنهم على فرض أننا عددناهم من بني إسرائيل — وهذا على أحسن أحوالهم — فيكونون من كفار بني إسرائيل وليس من مؤمنينهم المستحقين للعهد المدعاة وذلك لأسباب كثيرة جداً سأكتفي ببعضها مما يهمنا في هذا البحث:

أرسل الله لبني إسرائيل بعد موسى عيسى (عليه السلام) رسولاً لبني إسرائيل؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (44). فكفروا به فلعنهم كما لعنهم داود من قبله. قال تعالى: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (45). وفي الإنجيل الوضعي مثل هذا حيث يقول عيسى: "لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة" (46).

ولما استمروا في جرائمهم ضد أتباع عيسى بعد أن ادعوا قتله كذباً عاقبهم سبحانه بأن سلط عليهم القائد الروماني تيطس فدمر عروشهم كما ذكرت سابقاً، ومزقهم في الأرض، كل ممزق. ثم كانوا ينتظرون الرسول القادم على أحر من الجمر فلما بعث محمد (ﷺ) ووجدوه من العرب وليس من بني إسرائيل كفروا به. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (47). فلعنهم الله وغضب عليهم وسلط عليهم المسلمين حين أخرجوهم من جزيرة العرب.

وأما بالنسبة لعهودهم في القرآن الكريم فإننا لا نجد شيئاً يتعلق بإبراهيم وإسحاق وإسماعيل

ويعقوب وذريته إلا ما كان من أمر بني إسرائيل زمن موسى (عليه السلام)، حيث كان فرعون يضطهدهم إلى جانب كفره بالله، وهكذا يكون قد جمع بين الكفر والظلم فاستحق ملكه الزوال من الأرض وهذه سنة كونية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (48).

فبين سبحانه أن استحقاقها للزوال بسبب أنها كافرة أصلاً، وضمت إلى ذلك الفسق في البلاد. وقد أخبر سبحانه أن فرعون استحق الزوال، بينما سيأهل بنو إسرائيل للتمكين، بسبب اجتماع الاستضعاف والظلم الواقع عليهم مع كونهم أتباع موسى فقال: ﴿وَتَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (49).

والأرض الأولى المذكورة هنا هي مصر بلا خلاف لأنهم كانوا مستضعفين هناك. وقد أوردتهم الله إياها بعد مقتل فرعون. وأما الأرض الثانية المذكورة في الآية الكريمة فقد قال الطبري والقرطبي: إنها أرض مصر والشام (50). وذلك لأن التمكين الأكبر إنما كان في الشام وهي التي استقروا بها. ولما كانت إرادة الله هذه أخبر موسى قومه بالصبر وبشرهم بهذا التمكين. قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى اسْتَغِيثُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (51). والمفسرون على أن المقصود بالأرض التي يستخلفهم الله فيها: أرض مصر (52).

هذا ما قاله المفسرون ولم يذكر تفسير هذه الآيات في السنة المطهرة وإن كنا نظن أن الصحابة سمعوا شيئاً من رسول الله (ﷺ) ولكن ليس على سبيل الجزم لوجود شبهة تسرب الإسرائيليات في مثل هذه المواطن التي تعرضت لها التوراة بالتفصيل كما أننا لم نجد في القرآن والسنة حدود الأرض التي ورثوها في مصر على وجه التفصيل، ولا كم بقوا من الزمن فيها، بل الظاهر أن موسى لم يرجع إلى مصر بعد غرق فرعون وجنوده وذكر القرآن بعد ذلك أن موسى ذهب إلى لقاء ربه وأخذ الألواح وترك قومه فأشركوا بالله. قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْتَهَا بَعْشَرَ فَنِجَّاتٍ مِنْ قَبْلِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (53). ثم قال: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْقِهِمْ عَجَلًا جِئِدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (54). ثم أمرهم بدخول الأرض المقدسة — كما سيأتي قريباً — فاتحين فأبوا فضرب الله عليهم التية أربعين سنة. قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (55). ومات موسى (عليه السلام) في التية في الصحراء. إذا في زمن موسى على الأقل لم يحكم بنو إسرائيل مصر. ولم يخبرنا القرآن من الذي حكمها بعده ولا زمنه ولا حدود حكمه بالتفصيل. ويبدو لي أن ذلك في حال وجوده كان فترة بسيطة من الزمن لسببين:

1 - لكثرة كفر اليهود وسرعة تغفلتهم من الديانات وكان الله يعاجلهم بالعقوبة المدمرة التي تسلبهم كل عز كما هو حالهم في بلاد الشام إن لم يكن أشد.

2 - عدم وجود آثار أو نقوش إلى هذه اللحظة تشير إلى ذلك. والله أعلم.

والآية التي تدل على أن موسى طلب من قومه دخول الأرض المقدسة فاتحين بعد نجاتهم من فرعون مصر وأن تلك البقعة قد كتبها الله لهم هي: **(يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدَخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ)** (56).

والأرض المقدسة هنا قيل: هي "الطور وما حوله. ورجح ابن كثير أنها بيت المقدس" (57).

وبهذا قال الزمخشري (58). وروى القرطبي والشوكاني عن قتادة: أنها الشام. وعن مجاهد: الطور وما حوله. وقال الزجاج: دمشق وفلسطين وبعض الأردن (59). وهو "قول الفراء كذلك. وقال الكلبي: الأرض المقدسة: الشام، منه، وبيت المقدس من ذلك أيضاً" (60).

وقد ذكر الطبري الخلاف في الأرض المقدسة ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: هي (الأرض المقدسة) كما قال نبي الله موسى (عليه السلام) لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تدرك حقيقة صحته إلا بالخبر ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به، غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالأخبار على ذلك (61). ووضح من قول الطبري أنه وسع المنطقة حتى شملت كل الأقوال السابقة، ولكن يفهم أيضاً من قول الطبري والأقوال الأخرى أن الأرض لم تكن جميع بلاد الشام، كما أن مصر لم تكن من تلك الأرض لأن خطاب موسى لقومه كان بعد خروجه من مصر متجهاً إلى بلاد الشام.

ومعنى قوله: **(كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ)**: قال الزمخشري والشوكاني: قسمها لكم وسماها (62). وقال القرطبي: دخولها وسكنها (63). والقرطبي في رأيه كان دقيقاً جداً وملتزماً بجانب السلامة لأنه حاول أن يفسر القرآن بالقرآن. ففي هذه الآية وآيات أخرى خاطبها سبحانه بلفظ: **(ادخلوا)** ولفظ: **(اسكنوا)**، كما سيأتي قريباً. والجمع بين القولين أن الله قسم لهم الأرض وسماها لهم ثم فرض عليهم دخولها وسكنها. وأريد أن أسجل من خلال هذه الآية الكريمة ملاحظتين:

1 - إن أمر الله لهم بدخول الأرض المقدسة لا يعني أنهم سيضطروا عليها بتمامها لأن السيطرة على تمام الأرض معنى زائد على مجرد الدخول فيها كما هو معلوم بدهاءة.

2 - كون الله سبحانه كتب لهم هذه الأرض كذلك لا يعني أنها قد صارت بتمامها ملكاً لهم، لأنه كما هو واضح من الآيات الكريمة أن الله سبحانه كتبها لهم على أن يأخذوها عنوة من الجبارين الذين يسكنونها، وقد أبدى بنو إسرائيل جبناً شديداً تجاه ذلك عوقبوا عليه بالنatie (40) سنة.

قال تعالى: **(قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنْدَخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا**

قَاعِدُونَ... قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ» (64). إِذَا مَلَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُمْ عَلَى قَدَرِ جِهَادِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ وَمَا كَانَ عَنْدهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا قَلِيلٌ.

كما أننسي أجد في آية أخرى نوعاً من التعريف بالأرض المقدسة هنا وذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَنَا السَّمَاءَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ (65) فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ وَسَتْرِيدُ الْمُحْسِنِينَ» (66).

والقرية هنا — والله أعلم — هي الأرض المقدسة في الآية السابقة. والذي جعلني أفسر تلك الآية بهذه الآية:

1 — إن كلتا الآيتين قبل دخول الأرض المقدسة أو القرية.

2 — الأمر بالدخول في كلتا الآيتين.

3 — الآية التي فيها ذكر الأرض المقدسة كانت قبل التيه مباشرة كما هو واضح من الآيات التي ذكرت بعدها. والآية فيها دخول القرية بعد التيه مباشرة، كما هو في الآية التي قبلها لأن تظليل الغمام والمن والسلوى كل هذا كان في التيه.

إِذَا مَا بَيْنَ الْآيَتَيْنِ 40 سنة تيه تم بعدها تجديد الدعوى إلى جهاد الجبارين ودخول الأرض المقدسة التي سميت بعد ذلك بـ (القرية)، وتم دخول تلك الأرض بعد الآية الثانية التي ذكرتها بلفظ (قرية) وليس بعد الآية الأولى التي ذكرتها بلفظ (الأرض المقدسة). والدليل على ذلك الآية التالية للآية التي ذكرت فيها (القرية) وهي قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (67).

إِذَا تَمَّ الدخول ولكن مع تحريف كلام الله الذي قاله لهم وقد بينت السنة النبوية هذا التحريف، عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: "قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً، وقولوا حطة، فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة" (68).

وطالما أن القوم فسقوا على أبواب الأرض المقدسة وبدأ عذاب الله يلاحقهم إِذَا لم يتوسعوا كثيراً على الأقل في الفترة الزمنية التي دخلوا بها الأرض. والذي أريد أن أصل إليه من وراء هذا أن الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم وأمرهم بدخولها ليست كل بلاد الشام بل ولا كل فلسطين وإنما هي قرية من قرى فلسطين لأن معنى (قرية) في الآية السابقة بيت المقدس "عند جمهور المفسرين" (69). والدليل كذلك أن الله أمرهم بقوله (حطة) وأحد أبواب بيت المقدس يسمى (باب حطة) إلى يومنا هذا.

ويعكر على هذا الكلام آيتان:

— الأولى: قوله تعالى بعد أن ذكر إغراق فرعون وجنده:

﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعِفُونَ مِشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَفْرُسُونَ﴾ (70).

قال القرطبي في تفسير: ﴿مِشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾: الظاهر أنهم ورثوا أرض القبط. والأرض هي أرض الشام ومصر (71). وقال الزمخشري: أرض مصر والشام، ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالة (72). وإزالة ما يوهم التعارض أقول:

1 — هناك فرق كبير بين الآيتين: السابقة التي كتب الله لهم فيها الأرض المقدسة وهذه الآية. فتلك كانت بلفظ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وهذه بلفظ: ﴿أَوْزَنَّا﴾. وفرق كبير بين اللفظين ودلالتهما، فالله ربط وراثتهم الأرض هنا بصبرهم فقال: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ مكافأة لهم، بينما ربط الأرض التي كتبها لهم بجهادهم للجبارين وأخذها عنوة، ومعلوم أن جهاد بني إسرائيل إنما كان لدخول الأرض المقدسة التي فسرناها بالقرية. أي بيت المقدس. وهكذا نكون قد جمعنا بين الآيتين.

2 — وهناك فرق آخر وهو أن الإنسان لو ورث أرضاً شاسعة ليس بالضرورة أن يسكن في جميعها بل قد يسكن في جزء منها. كما هو في هذه الآية. بينما لا يستطيع هذا الإنسان أن يسكن خارج الأرض التي أمر بالسكن فيها والإقامة بها كما هو في الأرض المقدسة. إذاً هذه الأرض ليس بالضرورة أن تكون تلك الأرض، بل هي جزء منها صغير.

3 — مجرد الوراثة لا يعني التمكين فيها لفترة طويلة فقد يذهب الميراث بأسرع مما جاء، ولذلك المعروف أن بني إسرائيل سكنوا الشام وليس مصر. ولعل هذا ما جعل الطبري وابن تيمية يرجحان أن المقصود بمشارق الأرض ومغاربها هنا أرض الشام. ولأن الآية هنا وصفت الأرض بأن الله بارك فيها (73). فقال: ﴿بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وسبق أن بينت في بداية هذا البحث أنها الشام. وإطلاق ابن تيمية والطبري بلفظ (الشام) ليس بالضرورة أن يعني كل الشام بحدودها المعروفة بل الأقرب للصواب أنهما أطلقا العام وأرادا بعضه، فيكون المراد بعض الشام وهذا أقرب للواقع وللجمع بين الآيات.

الآية الثانية: قال تعالى مخاطباً بني إسرائيل بعد غرق فرعون: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (74). قال الطبري في تفسير الأرض هنا: أرض الشام (75). وقال القرطبي: الشام ومصر (76). وقال الزمخشري والرازي والشوكاني: مصر (77). وقال البيضاوي: مصر، أو كل أرض (78). وإزالة ما يوهم التعارض أقول:

1 — الآية هنا تأمر بسكنى الأرض. والآية التي فيها: (الأرض المقدسة) قال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ووضح الفرق بين المعنيين فليس بالضرورة أن كل أرض يسكنها الإنسان تكون قد كتبت له من جهة الله سبحانه كما هو في الأرض المقدسة. والذي يؤيد هذا أن الأرض التي كتبت لهم وصفت بأنها مقدسة ومعلوم أنها الشام وليست مصر. كما أن سكنى الأرض لا تعني بالضرورة كل الأرض، ولا حكم تلك الأرض، ولا عدم المشاركة في سكنائها من

جهة غيرهم.

2 - أَرَجَحُ أَنْ الْمَقْصُودَ بِالْأَرْضِ مَا قَالَهُ الطَّبْرِيُّ: أَرْضُ الشَّامِ. عَلَى مَعْنَى بَعْضِهَا لَا كُلِّهَا، وَيَسَاعِدُنِي عَلَى هَذَا التَّرْجِيحِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَتَرِدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿79﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ (79). وَالْقَرْيَةُ هُنَا بَيْتُ الْمَقْدَسِ (80). وَهَنَا تَوْجَدُ عِدَّةُ مَلاحِظَاتٍ:

أ - كِلْتَا الْآيَتَيْنِ طَلَبَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَكْنَى الْأَرْضِ.

ب - كِلْتَا الْآيَتَيْنِ بَعْدَ غَرَقِ فِرْعَوْنَ أَمَّا الْأُولَى فَوَاضِحٌ مِنْ نَصِهَا حَيْثُ قَالَ: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ وَأَمَّا هَذِهِ الْآيَةُ فَوَاضِحٌ مِنْ دُخُولِهَا الْقَرْيَةَ عَلَى غَيْرِ الْهَيْئَةِ الَّتِي أَمَرُوا بِهَا - كَمَا بَيَّنْتُ هَذَا قَبْلَ قَلِيلٍ - وَمَعْلُومٌ أَنَّ دُخُولَ الْقَرْيَةِ كَانَ بَعْدَ غَرَقِ فِرْعَوْنَ وَبَعْدَ مُوسَى (عليه السلام) بَلْ وَبَعْدَ النَّبِيِّ.

ج - قَبْلَ قَلِيلٍ فَسَرْتُ الْآيَةَ الَّتِي أَمَرُوا فِيهَا بِدُخُولِ الْقَرْيَةِ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ....﴾. وَأَنْ يَقُولُوا حِطَّةً وَأَنْ يَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا، فَسَرْتُ الْقَرْيَةَ بِأَنَّهَا بَيْتُ الْمَقْدَسِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ نَفْسُهَا وَلَكِنْ بَدَلَ الدُّخُولَ قَالَ السَّكْنَى لِأَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِالْدُّخُولِ لِأَجْلِ الْإِسْتِقْرَارِ وَالسَّكَنِ فِيهَا لَيْسَ لِمَجْرَدِ الدُّخُولِ.

د - وَقَلْبْتُ: بَعْضُ الشَّامِ لَا كُلُّهَا لِأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ وَبِلَادِ الشَّامِ لَا يُقَالُ لَهَا قَرْيَةٌ، وَإِنَّمَا هِيَ قَرْيٌ كَثِيرَةٌ هَكَذَا وَصَفْتُ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي قَوْمِ سَبَأَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا فُرْقًا ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيًا وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ (81).

وَفِي تَفْسِيرِ الْقُرَى الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: الشَّامُ (82). وَرَوَاهُ الطَّبْرِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَابْنَ جَرِيرٍ (83). وَرَوَاهُ ابْنُ كَثِيرٍ أَيْضًا عَنْ الْحَسَنِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَمَالِكٍ وَالضَّحَّاكَ وَالسَّرِيِّ وَابْنَ زَيْدٍ وَغَيْرِهِمْ (84). إِذْ الشَّامُ قَرْيٌ وَلَيْسَتْ قَرْيَةً وَاحِدَةً وَبِالتَّالِيِ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِسَكْنَى جُزْءٍ مِنَ الْأَرْضِ الْمَقْدُوسَةِ أَوْ الْمُبَارَكَةِ وَلَيْسَ كُلُّهَا. وَيُدْفَعُنِي إِلَى هَذَا الْقَوْلِ عَدَمُ وَجُودِ نَصِّ شَرْعِي يَحْدُدُ حُدُودَ الْأَرْضِ الْمَقْصُودَةِ وَاسْمُهَا صِرَاحَةٌ. وَكَذَلِكَ عَدَمُ ثُبُوتِ مُلْكِيَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِأَرْضِ مِصْرَ وَالشَّامِ بِتَمَامِهِمَا وَلِفَتْرَةٍ مَعْتَبَرَةٍ مِنْ خِلَالِ الْأَثَارِ وَالنَّقُوشِ وَمَسْأَلَةِ كَهْذِهِ لَا نَصَّ فِيهَا عَلَى وَجْهِ الدَّقَّةِ لِلْأَثَارِ وَالنَّقُوشِ فِيهَا نَصِيبُ الْأَسَدِ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (85). وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الذِّكْرِ فِي هَذَا الْمَقَامِ.

وَبَعْدَ مُحَاوَلَةِ مَعْرِفَةِ الْأَرْضِ الَّتِي كَتَبَهَا اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ خِلَالِ الْآيَاتِ نَعِيدُ النَّظَرَ فِي نَفْسِ الْآيَاتِ لِمَعْرِفَةِ الضُّوَابِطِ وَالْقَيُودِ الَّتِي مَكَنَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَجْلِهَا، وَقَدْ وَجَدْتُ فِيهَا الضُّوَابِطَ الْآتِيَةَ:

— وقوع الظلم على بني إسرائيل بسبب استضعافهم في أرض مصر. وهذا واضح في آية القصص (5). وفيها: «... عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ....». وفي آية الأعراف (137). وفيها: «... الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُّونَ....». فقد كان بنو إسرائيل مسلمين يظلمهم فرعون الكافر. ومعلوم أن حال اليهود اليوم على العكس من ذلك؛ إذ أنهم كافرون يظلمون المسلمين في بلادهم، فهم يقومون في فلسطين بدور فرعون في مصر وظلمه. ويستضعفون المسلمين الفلسطينيين. وعند تطبيق الآيات سيكون التمكين للفلسطينيين المسلمين المستضعفين.

— اشترطت الآيات لتمكين بني إسرائيل في الأرض أن يكونوا من المتقين الصالحين، وهذا واضح في آية القصص (5). وفيها: «... وَتَجْعَلُهُمْ أُتَمَّةً....». و"الأئمة هم قادة الخير ودعائه" (86). في البلاد والعباد فيكونون من عباد الله المسلمين لا من معانديه الكافرين. وهذا شرط في عهد الله لإبراهيم (عليه السلام)، قال تعالى: «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» (87). وقد اتضح من هذه الآية أن ذرية إبراهيم (عليه السلام) منها الصالح وهو الذي يمكن الله له في الأرض، والدين ومنها الظالم وهذا لا عهد له من الله ولا تأييد.

— في آية الأعراف (128) قال: «... وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ....». وقد وضحت آيات المائدة التي أمرتهم بدخول الأرض المقدسة أنها أمرتهم بذلك عندما كانوا مؤمنين فقال في الآية (23): «وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ». ولما تخلفوا عن الجهاد وعصوا رسلهم وثبت فسقهم منعوا من الأرض المقدسة، بل وضرب عليهم التيه في الأرض 40 سنة، كما سبق ذكره.

ومن هنا نستطيع أن نفهم مخاطبة الله لهم في هذه الآيات بلفظ (بني إسرائيل) انه لم يكن المقصود منه النسب إلى إسرائيل (يعقوب) وإنما المقصود به المسلمون دون أي اعتبار آخر للجنس وإنما قال بني إسرائيل لأنهم في ذلك الوقت كان المسلمون منهم باعتبار الرسالة فيهم.

وتسمية ديانتهم باليهودية مبتدع لا اعتبار له والحق في قوله تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» (88). «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (89). ولأجل الإسلام كان الله معهم في تلك الأيام ضد سكان فلسطين الوثنيين الذين قال فيهم: «سَآوِرِكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ» (90). وقد سبق ذكرى لهذا المعنى.

— بين سبحانه وتعالى في آية الأعراف (129) لزوم استمرار مسلمي إسرائيل على التقوى وأن دخولهم الأرض المقدسة امتحان جديد لهم في عهد قوتهم بعد أن امتحنهم في عهد ضعفهم فقال: «فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ». وهذا يعني أنهم إن تغيروا مع الله يغير حالهم وهذه سنة إلهية حيث قال: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (91). وحال اليهود من الفسق والفجور والكفر لا يخفى على العالم ويكفي ما ذكرته عنهم توراتهم، وقد مضى شيء من هذا وسيأتي المزيد.

وقد حذرهم القرآن من ضياع عهودهم كلها عند الله إن لم يكونوا أتقياء ومؤمنين برسوله

محمد(ﷺ) فقال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفَ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۚ وَأَمِنُوا بِمَا أُنْزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ﴾ (92). ثم أخبرنا سبحانه أنهم لم يبالوا بتحذيره واشتروا بآياته ثمنًا قليلًا وكفروا بمحمد(ﷺ) فقال: ﴿بَنَسَمًا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أُنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (93). وبالتالي خسر اليهود عهودهم وعزتهم وتمكينهم ونجاتهم وأمنهم فلجؤوا إلى الناس ليعوضوهم ما خسروه عند الله، وهامم يبحثون عن الأمن صباح مساء ولن يجدوه بغير الإسلام.

ومن خلال عرض العهود السابقة ومناقشتها في القرآن والتوراة أخلص إلى نتيجة مهمة وهي الاتفاق بين المصدرين على أن الأرض المقدسة قد كتبت للمؤمنين المصدقين بالرسول الطائعين لهم والذين كانوا في ذلك الزمان من آمن من بني إسرائيل وأن هذا التمكين يدوم مع دوام الإيمان والعدل ويزول بزوالهما.

حدود أرض العهود (أرض الميعاد):

يفرق اليهود بين ما يسمى بـ(أرض إسرائيل) ودولة (إسرائيل المعاصرة)، فأرض إسرائيل تذكر التوراة حدوداً تفصيلية كبيرة لها تتجاوز حدود فلسطين، ففي سفر التثنية: "الرب إلها كلمنا... تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربية والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعانيين ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات... ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لأبائكم" (94). وفي سفر التكوين: "في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً. لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات..." (95).

وكذلك في التوراة أن الرب كلم يشوع قائلاً: "فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أبي لبني إسرائيل. كل موضع تدوسه بطون أقدامهم لكم أعطيها كما كلمت موسى. من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم" (96). وهناك تفصيل أكبر في سفر العدد: 12-1/34.

وهذه العهود التي تعطيهم كل هذه الأراضي الشاسعة تصطدم مع ما يسمى الآن بدولة إسرائيل لأنه ليس منها شيء خارج حدود فلسطين بل وفي جزء من فلسطين وهذا يقودنا إلى التفرقة بين ما يسمى بـ(أرض دولة إسرائيل)، و(أرض إسرائيل) أو (أرض الميعاد). فما يسمى بدولة إسرائيل هو هدف مرحلي عند اليهود يتناسب مع الظروف الراهنة للعالم وبالذات ما هو داخل فلسطين وما حولها من الدول. وبعبارة أخرى هذه الدول الآن تعتبر خطوة تكتيكية ونواة (أرض إسرائيل) أو (أرض الميعاد) وهي المذكورة في عهودهم التوراتية، وقد سبق أن ذكرت في تصريحات زعمائهم في هذا المعنى وأضيف هنا ما قاله إسرائيل شاحاك: "يجري التداول اليوم بعدد من الصيغ المتباينة لحدود أرض إسرائيل التوراتية التي تفسرها مراجع حاخامية كحدود تعود إلى الوضع المثالي، للدولة

اليهودية. والصيغة الأبعد أثراً تشتمل ضمن هذه الحدود: كامل سيناء، وجزءاً من شمال مصر، وحتى ضواحي القاهرة في الجنوب، وكامل الأردن وجزءاً كبيراً من العربية السعودية، وكامل الكويت وجزءاً من تركيا (حتى بحيرة فان) في الشمال، وقبرص في الغرب" (97).

وهذا ما يفسره العلم الذي وضعوه لدولتهم حيث لون الأعلى والأسفل بالأزرق رمزاً لنهري الفرات والنيل ووضعت في وسطه نجمة داود السداسية رمزاً إلى دولة داود وسليمان.

بل إننا نرى أنهم يطمعون بأكثر من هذا وهو كل أرض داستها أقدامهم وهذا هو ما ذكرته قبل قليل في سفر يشوع: "كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته....". وفي ضوء هذا قال ابن غوريون أول رئيس وزراء لدولة اليهود: "حدود دولتنا حيث تصل أقدام جيشنا" (98).

وقال هرتزل للمستشار الألماني (هونكر) حين سأله عن الأرض التي يريد: "سنطلب ما نحتاجه وتزداد المساحة المطلوبة مع ازدياد السكان" (99).

أما بالنسبة للقرآن فكما ذكرت سابقاً لم يذكر حدوداً تفصيلية للأرض التي كتبها الله للمسلمين من بني إسرائيل إلا أن إجماع العلماء على أنها ضمن حدود بلاد الشام، ورجحت أنها لا تعدو عن كونها قرية بيت المقدس، ثم بعد ذلك توسع القوم من خلال حروب قاموا بها حول تلك القرية. هذا غير ما ورثوه من أرض مصر وهذا كان بسبب ظلم فرعون لهم وصلاحهم في ذلك الوقت وليس من الأرض التي قال الله إنه قد كتبها لهم كما بينت سابقاً.

وعندما نظرنا في كتب التاريخ لم نجد ما قالته التوراة عن دولتهم الواسعة ولم نجد دولتهم تجاوزت حدود فلسطين بل لم يكتمل لهم حكم فلسطين كاملة وبقي أهلها الأصليون يشاركونهم السكنى فيها (100). كما أنه لا يوجد في الوثائق الآشورية أي أثر لفترة داود وسليمان التي يعتد بها اليهود وأكثر ما ذكرت هذه الوثائق أن هناك دولتان لبني إسرائيل في أجزاء من فلسطين. إلى جوار دول أخرى لغيرهم فيها، وكذلك النصوص المصرية لا ذكر فيها لداود وسليمان ودولتهما وإنما ذكرت بعد داود وسليمان وجود دولتين إسرائيليتين فيها وأن غير الكنعانيين (السكان الأصليون) في فلسطين شاركهم كذلك بعض شعوب البحر مثل البلس وغيرهم فاستقروا على الشاطئ ضمن كيانات سياسية خاصة بهم (101). والتتقيات السورية لم تذكر أي أثر لليهود أو لبني إسرائيل في سورية. وليس فيها أثر لوجود سياسي في دمشق وجنوبها سوى ما تدعيه المصادر التوراتية (102). وهذا ما يعيدنا إلى التصور القرآني من أن دولتهم لم تكن بذلك الاتساع ولا بذلك الاستقرار والثبات.

على من تصدق عهود التوراة والقرآن:

طالما ثبت لدينا عقلاً ونقلاً أن الصلاح مع الله والناس شرط للتمكين الشرعي في الأرض المقدسة. فمن منا يكون الأجدر بهذا التمكين؟ وللإجابة على هذا السؤال لابد من الرجوع إلى مواصفات اليهود في التوراة أولاً. وقد ذكرت سابقاً شيئاً عن قبيح صفاتهم وأضيف هنا ما ذكرته التوراة من أن النبي يعقوب (إسرائيل) لم يعبد الله فلعه: "وأنت لم تدعني يا يعقوب حتى تتعب من

أجلي يا إسرائيل... لقد استخدمتني بخطاياك وأتعبتني بإيمانك.... فدنست رؤساء القدس ودفعت يعقوب إلى اللعن وإسرائيل إلى الشتائم" (103).

وكذلك موسى وهارون لم يكونا مؤمنين فحرمهما الله من الأرض المقدسة: "قال الرب لموسى وهارون من أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياها" (104). وفي التوراة يعقوب يصارع ربه ويغلبه وينتزع منه المباركة بالقوة (105). وداود يزني بامرأة أحد قادة جنده (أوريا الحثي) (106). وسليمان رجل جنس وعشق يتغزل بحبيبته ابتداءً من شعرها وخدها ونحرها إلى ثدييها وبطنها وسرتها وهي كذلك تتغزل بكل هذا منه (107). والأغرب من هذا أن الإله نفسه يأمر رسوله هوشع بالزنى فيقول له: "أول ما كلم الرب هوشع قال الرب لهوشع اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب. فذهب وأخذ جומר بنت دبلايم فحبلت وولدت له ابناً...." (108). ولوط يزني بابنتيه (109). وبالجمله كان هذا حال أنبياء بني إسرائيل وعلماهم كما تقول التوراة: "ولكن هؤلاء أيضاً ضلوا بالخمير وتاهوا بالمسكر. الكاهن والنبي ترنحا بالمسكر ابتلعتهما الخمر تاهتا من السكر ضلوا في الرؤيا قلقاً في القضاء. فإن جميع الموائد امتلأت قيناً وقذراً. ليس مكان لمن يعلم معرفة ولمن يفهم تعليماً...." (110).

وإذا كان الرسل كفرة وزناة وسكرة فلمن تكون العهود بالأرض المقدسة وما حال ذلك الشعب الذي هو حال رسله وعلماؤه بل وإلهه كما يصورونه!!!

ونحو هذا نجده في الإنجيل في مخاطبة المسيح لبني إسرائيل لما وجده فيهم من الصد عن سبيل الله وتقديسهم لذهب الهيكل وليس للهيكل وأنهم أبناء قتلة الأنبياء وأنهم كالحيات وأولاد الأفاعي. فيقول: "ويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس.... وتأكلون بيوت الأرملة.... ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء. ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم.... ويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المراؤون لأنكم تتقون خارج الكأس والصحفة وهما من الداخل مملوآن اختطافاً ودعارة... فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء.... أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم. لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون وتجلدون.... يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين" (111).

ونحو هذا وصفهم القرآن، حاشا الرسل فإنهم مكرمون بريئون مما قاله كفرة بني إسرائيل في توراتهم. قال تعالى في بني إسرائيل: ﴿..... وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباعوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ (112). وعن علماهم يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا إن كثيراً من الأتباع والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله...﴾ (113). ﴿واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله...﴾ (114). وقال: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن

فهذا إجماع الكتب ومر معنا إجماع الشعوب على خبثهم وسوء طوبيتهم. أبعد هذا يكون اليهود شعب الله المختار والمقدس الذي كتب الله له الأرض!!!.

ومن جهة أخرى فإن كل العهود التي يتحدث بها اليهود إنما أخذوها من التوراة اليوم وهذه التوراة ثابتة تحريفها ولا يستطيع بشر أن يثبت أن الله سبحانه قال ولو سطرأ مما فيها. وقد ألف في إثبات التحريف فيها كتب كثيرة وسأكتفي هنا بمثال واحد على هذا التحريف. ففي سفر التثنية من توراة موسى نجد: "فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب... ودفنه في الجواء في أرض مؤاب... ولا يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم. وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات.... فبكى بنو إسرائيل موسى... ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه" (116). فهل يعقل أن يكون هذا الكلام في التوراة التي نزلت على موسى وهو حي؟! فإذا كان موسى قد مات، فعلى من نزل هذا الكلام من بعده؟ وكيف دخل في توراة موسى؟!....

(9) - الزعد (31).

(2) - عابد توفيق الهاشمي - انظر الوسيط في علم الأديان - ج 1 - ط 1 - دار الفكر المعاصر - صنعاء (1419هـ/1998م) - ص 303.

(3) - الكتاب المقدس - مطبعة الشرق الأوسط
للكتاب المقدس - التوراة - التكوين 1/17 -
26.

(4) - التوراة - التكوين 2/26-6.

(5) - التوراة - تشية 18-10/6، 20-18/8.

(6) - التوراة - سفر الخروج 3/19-6، 20/7-17.

(7) - التوراة - الملوك الأول 4/9-8.

(8) - انظر: التوراة - التكوين 1/23-16.

(9) - الزعد (31).

(10) - ایر اہیم (47).

(11) - الأنبياء (71).

(12) - ابن جرير الطبري - جامع البيان ج 17 - دار
الفكر في لبنان - (1405هـ/1984م) - ص
47.

(13) - آل عمران (65).

(14)۔ آل عمران (67)۔

(15) - الإنجيل - يوحنا 8/38-44.

(16) - إسرائيل شاحك - الديانة اليهودية وتاريخ اليهود - ترجمة رضا سلمان - ط 4 - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - 1997م - ص 22.

(17) - البروج (4-7).

- 28-15/28.
- (31) - البقرة (83).
- (32) - تفسير الطبري 392/1. والشوكاني - فتح القدير - ج 1 - ط 1 - دار الوفاء - المنصورة (1415هـ/1992م) ص 173.
- (33) - تفسير الطبري 392/1. والقرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج 2 - مكتبة الغزالي - دمشق - ص 16.
- (34) - فتح القدير للشوكاني 172/1.
- (35) - التوراة - التثنية 11-9/7.
- (36) - البقرة (40).
- (37) - التوراة - مزامير (37-29).
- (38) - الأنبياء (105).
- (39) - النساء (163).
- (40) - النور (55).
- (41) - الأعراف (129-128).
- (42) - الحجرات (13).
- (43) - الأنبياء (105).
- (44) - الصف (6).
- (45) - المائدة (78).
- (46) - الإنجيل - متى - 24/15.
- (47) - البقرة (89).
- (48) - الإسراء (16).
- (49) - القصص (5-6).
- (50) - تفسير الطبري 29-28/20. وتفسير القرطبي 249/13.
- (51) - الأعراف (129-128).
- (52) - راجع: تفسير الطبري 28/9. وتفسير القرطبي 263/7. وابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج 2 - ط 1 - دار الفحاء - دمشق - (1414هـ/1994م) ص 143. والشوكاني - في فتح القدير 246/2. وزاد الشوكاني والقرطبي: وقد حقق الله راجاه وملكوا

- (18) - العقيدة اليهودية في فلسطين ونقدها ص 127 وما بعدها.
- (19) - راجع العقيدة اليهودية في فلسطين ونقدها - د. عابد توفيق هاشمي 127 وما بعدها.
- محمد عزة دروزة - اليهود في القرآن الكريم - المكتب الإسلامي - دمشق وبيروت (1400هـ/1980م) - ص (132-133).
- (20) - التوراة - تثنية (6-1/7).
- (21) - المائدة (82).
- (22) - التوراة - إرميا (10-15).
- (23) - المائدة (64).
- (24) - المائدة (78-79).
- (25) - التوراة - إرميا 22/4.
- (26) - لمعرفة هذه النقول وغيرها راجع: إغاثة اللهفان لابن القيم 2/439-440-474-475. ومحمود مزروعة - دراسات في اليهودية - ط 1 - دار الطباعة المحمدية - القاهرة - ص 128 وما بعدها. ومقدمة ابن خلدون - ط 1 - انتشارات استقلال - إيران - (1410هـ) - ص 231. وابن جرير الطبري - تاريخ الأمم والملوك - ج 3 - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ص 367 - وما بعدها. ومحمد السماك - الصهيونية المسيحية - ص 175 وما بعدها. ومن اليهودية إلى النصرانية - ولابن كثير - البداية والنهاية - ص 41/2 وما بعدها. ومحمد عبد السلام - بنو إسرائيل في القرآن الكريم - ط 1 - ص 112 وما بعدها. والديانة اليهودية وتاريخ اليهود - إسرائيل شاحاك ص 98 وما بعدها.
- (27) - طه (97).
- (28) - الأعراف (167-168).
- (29) - السموئل بن يحيى المغربي - بطل الجهود في إفحام اليهود - ص 16.
- (30) - راجع للاستزادة التوراة - الملوك الثاني 21/8-15. إرميا 7-5/7. وتثنية 20-18/8. و

- (69) - راجع تفسير القرطبي 409/1. وتفسير فتح القدير للشوكاني 152/1.
- (70) - الأعراف (137).
- (71) - تفسير القرطبي 272/7.
- (72) - تفسير الكشاف 149/2.
- (73) - راجع تفسير الطبري 44-43/9. وابن تيمية - مجموع الفتاوى - ج 27 - مكتبة النهضة الحديثة - مكة - (1404هـ) - ص 44، 506.
- (74) - سورة الإسراء (104).
- (75) - تفسير الطبري (176/15).
- (76) - تفسير القرطبي (338/10).
- (77) - تفسير الكشاف (698/2). والفخري الرازي - التفسير الكبير - ج 21 - ط 3 - ص 6. وفتح القدير للشوكاني 269/3.
- (78) - البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - دار الفكر - (1402هـ/1982م) - ص 385.
- (79) - الأعراف (162-161).
- (80) - راجع تفسير الطبري (90/9). والكشاف للزمخشري 170/2.
- (81) - سبأ (18).
- (82) - تفسير القرطبي 289/14.
- (83) - تفسير الطبري 83/22.
- (84) - تفسير ابن كثير 704/2.
- (85) - النحل (43).
- (86) - انظر: تفسير القرطبي 249/13.
- (87) - البقرة (124).
- (88) - آل عمران (19).
- (98) - آل عمران (85).
- (90) - الأعراف (145).
- (91) - الأنفال (53).
- (92) - البقرة (40-41).
- (93) - البقرة (90).

- مصر في زمان داود وسليمان، وفتحوا بيت المقدس مع يوشع بن نون.
- (53) - الأعراف (142).
- (54) - الأعراف (148).
- (55) - المائدة (26).
- (56) - المائدة (22-21).
- (57) - انظر تفسير ابن كثير (53/2).
- (58) - الزمخشري - تفسير الكشاف - ج 1 - نشر أدب الحوزة - إيران - ص 620.
- (59) - انظر تفسير القرطبي 125/6. وتفسير فتح القدير 30/2.
- (60) - ابن منظور - لسان العرب - نشر أدب الحوزة - إيران - مادة (قدس).
- (61) - تفسير الطبري 172/6.
- (62) - تفسير الكشاف للزمخشري 620/1. وتفسير فتح القدير للشوكاني 30/1.
- (63) - تفسير القرطبي 125/6.
- (64) - المائدة (26-24).
- (65) - المقصود بالقبرية هنا المدينة؛ سميت بذلك لأنها تقرت، أي اجتمعت. ومنه قويت الماء في الحوض، أي جمعت. تفسير القرطبي 4/409. وانظر: الراغب الأصفهاني - مفردات ألفاظ القرآن - ط 2 - المكتبة المرتضوية - إيران - ص (402-403).
- (66) - البقرة (57-58).
- (67) - البقرة (59).
- (68) - البخاري - الطبعة التركية - استنبول - 4479. ومسلم - الطبعة التركية - استنبول - 1/3015. والترمذي - الطبعة التركية - استنبول - 2956/ابن الأثير - جامع الأصول - تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - ط 2 - دار الفكر - لبنان - (1403هـ/1983م). رقم 472. والمقصود بـ حطة: أي حُطّ عنا ذنوبنا.

- القاهرة بتاريخ 1995م ص(418-420).
- (102) — راجع: هورست كلينغل — تاريخ سوريا السياسي (3000-300 ق.م)، ترجمة سيف الدين دياب — ط1 — دار المتنبي — دمشق — 1998م ص231.
- (103) — التوراة — أشعيا 22/28-22.
- (104) — التوراة — عدد 12/20-13.
- (105) — التوراة — تكوين 22/32-31.
- (106) — التوراة — صموئيل الثاني 1/11-13.
- (107) — التوراة — نشيد الإنشاد بتمامه.
- (108) — التوراة — هوشع 1/1-7.
- (109) — التوراة — تكوين 19/30-37.
- (110) — التوراة — إشعيا 7/28-10.
- (111) — الإنجيل — متى 13/23-39.
- (112) — البقرة (61).
- (113) — التوبة (34).
- (114) — التوبة (31).
- (115) — المائدة (78-79).
- (116) — التوراة — التثنية 5/34-10.

- (94) — التوراة — التثنية 6/8-8.
- (95) — التوراة — التكوين 15/18-20.
- (96) — يشوع 1/1-5.
- (97) — الديانة اليهودية وتاريخ اليهود — إسرائيل شاحاك 29. وراجع: عبد العزيز بن مصطفى بن كامل — حمى الألفين — المنتدى الإسلامي — العالمية للطباعة والنشر — ص(31-32). وللاطلاع أكثر على أهدافهم التوسعية راجع العقيدة اليهودية في فلسطين ونقدهما — د.عابد توفيق هاشمي 32-38-42. والصهيونية المسيحية — محمد السماك ص123.
- (98) — مجاهد بن مجدد الدين — لا طريق غير الجهاد لتحرير المسجد الأقصى — ط1 — (1414هـ/1994م) — ص572. وحمى الألفين — عبد العزيز مصطفى كامل 35.
- (99) — حمى الألفين — عبد العزيز مصطفى كامل 35.
- (100) — راجع: تاريخ الطبري (216/1) وما بعدها.
- (101) — راجع: أحمد فخري — مصر الفرعونية: موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332 ق.م. — ط8 — دار الأنجلوا المصرية

